مساحة خضراء

شكوى عبدالله سلام ناجي في دراسات نقدية

فؤاد عبدالقادر

دراسات نقدية ورسائل.. كتاب صدر عام ٢٠٠٣م للأديب والشاعر الناقد، وأضيف من عندي، والسياسي المهندس الراحل عبدالله سلام ناجي..أصدرته الأمانة العامة لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بصنعاء.

الكتاب هو الثاني ضمن سلسلة الأعمال الكاملة..ويتضمن مجموعة دراسات نقدية.. هي على التوالي..ليل إلى متى.. دراسة في شعر لطفي جعفر أمان..قراءة في غريب على الطريق للشاعر المرحوم محمد أنعم غالب..مسواط أعاق الاستعمار نمو إبداعه، ومسواط هو الأديب القاص محمد سعيد مسواط..دراسة نقدية في قصصه (بعضها) مسافة التجاوز في هوامش السفر واخضراره أربع دراسات نقدية بقلم عبدالله سلام ناجي.

الكتاب أيضا يحتوي عناوين حملت عنوان الرسائل،وأيها.. ما يهمنا هو عبدالله سلام ناجي..الشاعر الجميل..الذي ينضح إبداعا..في شعر العامية الذي أبدع فيه..كان الراحل الصحفي والقاص المسرحي الراحل محمد ردمان الزرقة يصف شعر سلام ناجي بأنه من أجمل الشعر على الاطلاق، كان معجبا به إيما أعجاب..يرحمهما الله الاثنان.

وحسب ما أعتقد أن عبدالله سلام ناجي من المثقفين الذين سحقتهم ظروف الحياة ، عكس ذلك على إبداعه فتوقف عن الإبداع..من يقرأ نشوان والراعية..أو أغنيات كتبها وشدت بها بعض الفنانات العربيات..مثل شريفة ماهر في أغنية.. نجم الصباح بكر..بكر زحل يلالي، أو قصائده في الحكمة.. يتحسس إبداع الشاعر..يقول الشاعر والناقد عبدالله سلام ناجي في رسالة ردا على رسالة من صديق عن كتبها في عام ١٩٧٠م أواخر فبراير ،موضحا أسباب توقفه عن الشعر والإبداع..لقد سرقت تجربتي الشعرية المرتبطة بالتجربة العامة والنضالية خاصة..سنين قليلة من حياتي الدراسية..وكان علي إعادة الاعتبار بشق الأنفس..إذ أن غياب الشعر حلت محله مشاكل الحياة..وهي مشاكل كانت بالنسبة لي قاسية إلى حد لم أتغلب عليها إلا على حسابات صحية ونفسية حتى بدت علي هجرة الشباب وغزو المشيب المبكر.

يواصل الشاعر الناقد شكواه إلى صديقه فيقول :

كم هو رائع أنك وفقت إلى فهم الصعاب التي تحيط بتجربة الشاعر..وربما كان عامل التجدد والتجديد يحتلان جزءا هاما من عدم مواصلتي..لذلك انغمست في قراءات سياسية.. وتركت القراءة الأدبية.

الرسالة طويلة شرح فيها الراحل كل همومه وأوجاعه،كما ضمنها بعض أشعاره..وتجربته الإبداعية..سنحاول في جزء آخر في نفس هذا العمود التواصل.

البعد الثقافي والفكري الإنساني لخصوصية التغيير في اليمن

منير أحمد قائد

■،، تجسدت في ظل العولمة مقولة أن العالم قرية صغيرة، وطغت الحضارة الإنسانية الجديدة التي رغم إنجازاتها التطورية العلمية والتكنولوجية غير المسبوقة لم تحقق السعادة والرفاهية لأبناء المجتمع الإنساني الذين يفتقدون للعدالة والسلام على نطاق المجتمع الدولي وقد غدا اليوم بحاجة ماسة إلى نظام دولي جديد يحقق العدالة والمساواة والسلام والتعايش وتتجسد من خلاله قيم التعاون والتسامح والتكامل والشراكة بين الأمم والشعوب لتصل من خلال التجسيد العملي للقيم الإنسانية المشتركة إلى تمثل ثقافة إنسانية جديدة واحدة تترجم حقيقة الإخاء الإنساني وأن الإنسانية واحدة، وأمام هذا التطلع أو الحلم المشروع نعترف بحقيقة أن الأمة العربية هي الحلقة الأضعف كمعضلة في واقعها الراهن بأسبابها وعوامل بقائها المعروفة وعلاقتها بادارة الشأن المجتمعي الإنساني وخارطة مكونات القوة المتصارعة وتأثيراتها والاستراتيجيات والسياسات المتباينة والمتناقضة حول المصالح على النطاق الدولي، على الرغم من امتلاك الأمة العربية لمقومات قوة طامنة ومكونات فاعلة وتطلع كل أبنائها لمشروع قومي نهضوي حضاري يؤدي إلى أن تأخذ الأمة موقعها الطبيعي بين الأمم وتسهم بفاعلية في الحضارة الإنسانية الجديدة والتطور الإنساني، وها هو واقع الأمة راهناً يصل إلى انطلاقة تحركات أو حركات احتجاجية في بعض الأقطار ووصفها بالثوات الجديدة وأثبتت أحداثها وتطوراتها أن هذه الحركات الاحتجاجية ليست بعيدة أو منفصلة أو متحررة من التأثير القوى والتدخل والتحكم بمساراتها من قبل كل القوى الدولية الذي يجبرها على ذلك عوامل المصالح وادعاء المبررات الأخلاقية والدفاع عن القيم الإنسانية، وفي سياق هذا تمارس السياسات وتتخذ المواقف من القوى الدولية ازاء الاحداث والتطورات الكبيرة المتلاحقة في واقع الأمة بدوافع حماية المصالح وتحقيق أخرى وتغلق الأفعال والممارسات والمواقف بالقيم الانسانية التي لايختلف عليها كل أبناء الأمة، لكن ضرورات تنفيذ السياسات بنجاح للقوى الدولية، بما يخدم مصالحها المشروعة لا تراعي الحق المشروع لأبناء الأمة في تجاوز والتغلب على المعوقات أو المعضلات أمام تطلعاتها للمشروع النهضوي الحضاري الذي يلتقون من خلاله مع كل القوى الدولية والأمم والشعوب وأبناء المجتمع الإنساني على القيم الإنسانية المشتركة ومكونات الثقافة الإنسانية الواحدة الجديدة المستوعبة للتعدد والتنوع والخصوصيات للثقافات المتسقة والمتناغمة مع هذه الثقافة الإنسانية ليتجسد من خلال التعاون والتكامل بين الأمم والشعوب عدم إعاقة أبناء الأمة العربية في تحقيق ثورة ثقافية شاملة غير مسبوقة تتحقق فيها تطلعاتهم الحضارية وتصب بتحقيق أهدافها بالمصلحة المشتركة لكل أبناء المجتمع الإنساني لأن معضلة الأمة تكمن بدرجة أساسية في المشكلات الثقافية الكبرى المزمنة التي ساعدت بعض جوانب السياسات والعلاقات الدولية منذ زمن بعيد على تمرد حواضن وحوامل الثقافة الجامدة والمغلقة في واقع الأمة وغدت تمثل تلك المشكلات كأدوات وتعبيرات كيانية وتيارات فكرية وسياسية لا تؤمن بالقيم الإنسانية الجديدة المشتركة ومنها قيم الديمقراطية والحرية والقبول والتعامل مع الآخر بلغة العصر وإرادة الشعوب وهنا تكمن خطورة هذه التيارات من ادعائها الزائف واستغلالها واستثمارها المفضوح بأنها تعتنق هذه القيم بغرض إنهاء فاعليتها المتنامية في واقع الأمة كنتاج لتأثيرات الحضارة الإنسانية الجديدة فيه، هذه التيارات تحمل مشروع متخلفاً تعاني منه الأمة وفي ظل مايشهده الواقع العربي راهناً من تطورات كبيرة تمثلت بحركات الاحتجاجات المتواصلة يفترض أن تعمل القوى الدولية على وضع حدود واضحة في علاقة مصالحها ودفاعها عن القيم الإنسانية بالواقع العربي بين الدعم المعنوي المشروع للتغيير والاصلاح المنشود الذي يخدم مصلحة الأمة ويصب في المصلحة المشتركة بين أبناء المجتمع الإنساني وبين احترام حق أبناء الأمة في التخلص من الفاعلية لتيارات مشروع التخلف والجمود والعصبية والانغلاق التي تقف عائقاً أمام الثورة الثقافية المأمولة في واقع الأمة مع تسليم أبنائها بحق هذه التيارات في أن تنخرط كتعبيرات وكيانات سياسية ضمن الأنظمة الديمقراطية في ظل امتلاك الشعب العربي للمقومات الضامنة حماية الديمقراطية من محاولات انقلاب تلك التيارات المتخلفة عليها وخاصة الدينية منها التي شوهت الثقافة الاسلامية وقدمت صورة مشوهة للعالم عن الإسلام الحنيف واستغلت البيئة الدينية للشعب العربي لتوطن فيه ثقافة الجمود والانغلاق والتطرف والعنف والحقد والكراهية والبغضاء تجاه الآخر، لذا فإن مشكلة أبناء الأمة مع هذه التيارات وخاصة ما يسمى حركة الإخوان المسلمين ليست مشكلة حقوقية أو سياسية أو متعلقة بالحرية والديمقراطية وإنما هي مشكلة ثقافية ذات بعد إنساني لا تعاني منها الأمة فحسب بل كل العالم وأبناء المجتمع الإنساني وهو الأمر الذي يفرض على القوى الدولية وكل دول العالم أن تتفهمه وتضعه في الاعتبار وهي تتعاطى من خلال استراتيجياتها وسياساتها راهناً حيال الاحتجاجات أو ما يسمى ثورات جديدة في الواقع العربي الذي يتحرك فيه الفعل الثوري الحقيقي ويؤثر بفاعلية كبيرة بقلب هذه التطورات والأحداث والاحتجاجات والحراك العربي بشكل عام بصورة تلتقي فيه مصلحة الأمة من حاجتها للتغيير الحقيقي المنشود سلمياً وديمقراطياً مع مصالح القوى الدولية والمصلحة المشتركة لكل أبناء المجتمع الإنساني في ظل تطلعهم وسعيهم لأن تسود القيم الإنسانية الجديدة بينهم من خلال إجماعهم عليها وتجسيدها في الممارسة العملية سلوكياً في ظل الثقافة الإنسانية الجديدة الواحدة.

ربما كان أمراً متوقعاً بحكم مشكلات الواقع العربي أن تتفجر الاحتجاجات فيه راهناً لكن رغم أهميتها وتأثيراتها وإفرازاتها سلباً وإيجاباً حتى الآن فإن مساراتها كشفت عن حجم المخاطر والمخاوف والتحديات المضاعفة للأمة العربية وقد فرضت عليها كأمر واقع استنفر السياسات القطرية والقومية والدولية وهذه التطورات والأحداث المتلاحقة بواقع الأمة راهناً تؤكد على أن هذا الواقع يمر بمرحلة مخاض إستثنائية في التاريخ المعاصر للأمة لها علاقتها التأثرية والتأثيرية المتبادلة على النطاق العالمي، وهذه الأحداث بعمقها وأبعادها وانعكاساتها وإقليمياً ودولياً فرضت بقوة تغيير السياسات ومسارات العلاقات إقليمياً ودولياً تجاه هذه التطورات والأحداث، ولهذا اذا نظرنا إليها من خلال صيرورتها التاريخية وقوانين التطور في المجتمعات وحتى السنن الألهية فإنها على صعيد الأمة العربية ستفضي بانتقالها إلى واقع جديد وقد عبر فيه كل أبناء الأمة في نهاية هذه التطورات على نطاقها عن الحلم الجمعي لهم وعبروا عبر فعل جمعي أيضاً عن ما يتطلعون إليه جميعاً وهم راهناً لم يلتقوا بعد حولها ولن يتفجر الإفصاح الجمعي بها إلا في اللحظة المناسبة التي يجدون فيها أنفسهم جمعياً واعين لذاتهم الواحدة ويجمعون على النموذج التغييري المنشود للأمة الذي يلتفون حوله ويعبر عن ارادتهم الواحدة على صعيد الدولة والنظام السياسي وإدارة الشأن المجتمعي وكل مجالاته وخاصة الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والعقيدية والحضارية، وعندما يوجد النموذج المنشود ستتأطر فيه مكونات القوة الكامنة والفاعلة للأمة ويكون له تأثير وفاعلية على صعيد عالمي عبر أنواع مختلفة من التأثير والفاعلية وفي مقدمتها الثقافي والفكري بعد أن يكون بناء هذا النموذج هو نتاج تشييد قواعد أساسية صلبة لإنطلاقة الثورة الثقافية ذات البعد والمضامين الإنسانية لتعالج مع بداية طغيانها كل قضايا الأمة وواقعها بفاعلية هذه الثقافة وفكرها الإنساني الجديد، وهذا الأمر يجعلنا نتوقع بأن حركة الاحتجاجات أو ما تسمى الثورات الجديدة لن تتوقف عند نطاق الأمة أو تستسخ من بلد عربي إلى آخر بل سيظل الفعل الثوري التغييري يتحرك بقوة في كل أرجاء الواقع العربي وإن اختلفت النماذج الجزئية للاصلاح والتغيير في البدان العربية، لكن مانريد أن نذهب إليه في توقعنا أن هذه التطورات إن وصلت في مآ لاتها إلى بناء النموذج المنشود في نطاق الواقع العربي فإن حركة الاحتجاجات أو الثورات ستشمل معظم شعوب وبلدان العالم بما فيها الدول الكبيرة كون هذا المتغير الأبرز في واقع الأمة ذات البعد الدولي والإنساني سيفرض على كل شعب في هذه البلدان أن يعبر قضيته ومشاكله ومعاناته التي تختلف من شعب إلى آخر ومن بلد إلى آخر، وقد ظهرت مؤشرات أولية لهذه التوقعات بما شهدته بعض البلدان من احتجاجات جزئية محدودة في أوروبا وشرق آسيا وغيرها من مناطق العالم حتى يتحقق التغيير في كل هذه البلدان الذي يؤدي إلى بناء نظام دولي جديد يجسد الإرادة الواحدة لكل الشعوب وأبناء المجتمع الإنساني ويحقق العدالة والسلام وتجسيد القيم الإنسانية المشتركة الجديدة، كما أقرأ أحد تلك المؤشرات المشار إليها بتصريح الرئيس الأمريكي باراك أوباما قبل بضعة أسابيع حينما قال أن النظام السياسي في بلاده بحاجة ماسة إلى الاصلاح وبذلك يقصد التغيير لأن الشعب الأمريكي ستتبلور قضيته المعبرة عن معاناته وتطلعاته من خلال رؤية وتعامل الآخرين معه وخاصة في واقع الأمة العربية وقد بدأ الوعي يتنامى لدى أبناء الشعب الامريكي حيال قضيته منذ أحداث أو هجمات سبتمبر ٢٠٠١م، ولاشك أن كثيرين وربما غالبية أبناء المجتمع الإنساني قد تفاعلوا مع الحملات الانتخابية للرئيس أوباما قبل انتخابه منذ أكثرمن ثلاث سنوات عندما تبنى في حملاته خطاباً امتزجت فيه السياسة والثقافة والفكر بطابع إنساني فكل شخص تابع خطابات الرئيس أوباما بهذا الطابع قد ولدت ارتياحاً لديه حينها وهنا أفرق بين هذه الخطابات ودلالاتها وعميقها الإنساني وبين الاستراتيجيات والسياسات التي تصيغها المؤسسات الامريكية تجاه العالم لكنني أظل انظر بتفاؤل واستمرار فاعلية التأثير لخطابات الرئيس أوباما قبل انتخابه لأنها عبرت عن حاجة أبناء الشعب الامريكي لها وحاجة كل أبناء المجتمع الإنساني بحيث يعبر عنها كل شعب في العالم من منطلق خصائصه ووعيه بقضاياه ورؤيته لمشكلاته وتحدياته وخيارات معالجتها والتغلب عليها، لذلك بقدر ماتتمتع به أمريكا كدولة وقوة عظمى من نفوذ وتأثير عالمي وفي السياسات والتطورات والاحداث في كل أرجاء العالم وخاصة في واقع الأمة العربية فإن الشعب الأمريكي لن يستغني في المستقبل القريب أو على المدى المتوسط عن حاجته لما يفتقد إليه راهنا من شعوب أخرى وفي مقدمتهم الشعب والأمة العربية وخاصة في الجوانب الفكرية والثقافية التي ستخدم حينها السياسة والاقتصاد والأمن والقوة وغير ذلك، وأتوقع أن كثيراً من المفكرين الاستراتيجيين الامريكيين المهتمين بعلم المستقبل يدركون ويعون هذا الأمر وفق رؤيتهم للعالم من منظور تأثرهم ببيئتهم الثقافية التي يتطلعون لتكون بيئة عالمية تسود كل أبناء المجتمع الإنساني.

ولهذا فإن اليمن منذ إعادة تحقيق وحدته المباركة في ٢٢مايو ١٩٩٠م. بقيادة فخامة الأخ/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية قد تمعن في قراءته العميقة لمعطيات وتطورات الواقع الدولي وظل يتعامل معها حتى الوقت الراهن من منطلق حاجته الماسة المستمرة للثورة الثقافية كجزء من ثورة ثقافية عربية ذات طابع إنساني ففتح اليمن أبوابه على مصراعيه للقيم الإنسانية الجديدة وفي طليعتها قيم الديمقراطية والحرية واحترام الرأي والرأي الآخر والقبول به على الرغم من تعقيدات الواقع المجتمعي واشكالياته الكثيرة التي تعيق التقدم السريع في تحقيق الثورة الثقافية لكنه حقق إنجازات بارزة وملموسة على طريقها وفق رؤية وطنية إنسانية ثاقبة لفخامة القائد الوحدوي التاريخي الرئيس/ علي عبدالله صالح – رئيس الجمهورية للتغيير الحقيقي المنشود ببعده القومي والإنساني حتى جاءت الاحتجاجات التي أدت إلى الأزمة السياسية الراهنة التي فجرتها قوى متضررة من رؤية فخامة رئيس الجمهورية ومتخوفة من التغيير الحقيقي المنشود ببعده الإنساني ثقافياً وفكرياً وحضارياً وحاولت وسعت هذه القوى إلى اختطاف شعار وعناوين هذا التغيير المنشود ففشلت وافتضح أمرها من قبل كل أبناء الشعب وإن نجحت في التضليل وتزييف وعي جزء محدود منهم لكنهم سيكتشفون حقيقة مرامي وأهداف هذه القوى في المستقبل القريب، ولهذا فإن اليمن كانت قضيته الكبرى منذ سنوات بعيدة هذا التغيير الحقيقي المنشود وما زالت وستظل قضيته الكبرى التي يلتف حولها كل أبناء اليمن وهم يقدرون دور فخامة الأخ رئيس الجمهورية الوطني التاريخي في إرساء قواعد صلبة ومتينة للتغيير بآفاقه الإنسانية ثقافياً وفكرياً بما تحقق من إنجازات في تشييدها قد حصنت اليوم اليمن واليمنيين من مخاطر الأزمة السياسية الراهنة على كافة المجالات حيث برهنت وأثبتت هذه الأزمة لكل دول العالم حقائق جديدة متجذرة في الواقع الوطني عن خصوصية التغيير الحقيقي المنشود في اليمن الذي لا يقبل تحقيقه استنساخ نماذج تغييرية من بلدان عربية شهدت احتجاجات أدت إلى ما أطلق عليه بأنه التغيير فيها، لأن التغيير الحقيقي في اليمن قد انطلق منذ سنوات ليست بالقليلة وفق مسارات ثقافية وفكرية جديدة كان لها إسهامات متنامية متواضعة في التأثير وحظيت بالاحترام والتقدير من قبل المجتمع الدولي وإدراك عمقها وأبعادها الهامة من قبل غالبية أبناء المجتمع الإنساني، ليصل اليمن اليوم كما كشفت عنه الأزمة السياسية الراهنة إلى مرحلة تهيأت فيه الأسباب وتوفرت فيه العوامل المساعدة لتغلب اليمنيين على ما تبقى من معوقات مزمنة أمام الانطلاقة النوعية الاستثنائية للتغيير الحقيقي المنشود شعبياً تواصلاً لمسيرته التي قادها فخامة الأخ/علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية التي تواءمت من خلالها التزامات وواجبات اليمن وطنياً وقومياً ودولياً وإنسانياً وقد أثبت اليمن عبر هذه المسيرة الوطنية للتغيير أنه يجيد قراءة المستقبل على الرغم مما دفعه اليمن من ثمن باهظ كنتاج لها لعل أهم جوانبه بروز تحديات النزعات العصبوية والتمزيقية وممارسة العنف والتخريب والإرهاب من قبل قوى التخلف والتطرف والجمود والانغلاق والإرهاب ، لكن اليمن وأبناءه كانوا يقظين ومستعدين لمواجهة هذه اللحظة وتجاوزها بأمان وبخطوات واثقة نحو المستقبل المأمول صابرين ومتحملين كل أنواع المعاناة وخاصة الاقتصادية والمعيشية منها، لكن كل ذلك يهون من أجل الوطن الغالي وقد تأكد للعالم أن خصوصية التغيير الحقيقي المنشود في اليمن قد أكدت بحقيقتها المسلم بها من قبل كل الأشقاء والأصدقاء أن التغيير في اليمن تحول استراتيجي استثنائي لا يهم اليمن بل كل العالم الذي أصبح يتفهم أن هذا التغيير هو بداية ومنطلق الوصول إلى النموذج في الأمة الذي سيكون العالم والمجتمع الإنساني بحاجة إليه من منطلق حسابات الاستراتيجيات والسياسات الدولية وتطلعات أبناء المجتمع الإنساني إلى أن تسود بينهم القيم والثقافة الإنسانية الواحدة الجديدة التي لا يمكن أن تسود في المجتمع الإنساني بدون انطلاقة هذه الثقافة من جذور ومنبع الحضارات الإنسانية الأولى في التاريخ الإنساني ومتحف هذا التاريخ الذي هو في حقيقته الابدية مصدر إشعاع حضاري وإن غيبت هذه الحقيقة منذ عهود وأزمان بعيدة، فالتغيير في اليمن لا يختلف عليه أبناء اليمن وإنما الخلاف حول مستقبل الوطن واليمن الكبير الموحد الجديد الذي يقع اليوم بين مشروع انقلابي تدميري يهدد بمخاطره الوطن والمنطقة والعالم من كافة النواحي ذات البعد الاستراتيجي وبين مشروع وطني حضاري جديد للتغيير الحقيقي المنشود يستنهض المكونات التاريخية والحضارية للهوية ويقدم من خلاله اليمن ذاته للمجتمع الإنساني بفكر وثقافة إنسانية جديدة يحتاجها أبناء الأمة والمجتمع الإنساني، فثقتنا بالوطن مطلقة ولا خوف أو قلق على اليمن الذي تحرسه العناية الإلهية وإرادة أبنائه وقد برهنوا بوعيهم الجمعي راهناً أن التغيير قضيتهم الكبرى ويستحيل أن يتأثروا بزيف وتضليل القوي الظلامية والمتخلفة ذات العقلية الجامدة والمنغلقة المعادية للتغيير وستمضي مسيرة التغيير الحقيقي المنشود بآفاقه الإنسانية ثقافياً وفكرياً على هدي الرؤية الوطنية الاستراتيجية الإنسانية التي رسمها وسار عليها فخامة الأخ/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية الذي سيظل فخامته مرجعية وطنية تاريخية وإن غادر موقعه كرئيس للجمهورية لكن كان فخامته كقائد وطني وحدوي وزعيم تاريخي حقيقة نحتها كل أبناء اليمن بحبهم ووفائهم لهذا القائد العظيم في أنصع الصفحات المشرقة الخالدة للتاريخ اليمني والإنساني، وسيظل اليمن كما رسمه الشاعر الراحل «الفضول» يعيش إيمانه وحبه أمميا ومسيره فوق دربه عربياً ونبض قلبه يمنيا.

Kaid642@Yahoo.com

إصدارات ثقافية

«كل رجال الباشا»

صدر حديثاً عن دار «الشروق» بالقاهرةكتاب «كل رجال الباشا» للدكتور خالد فهمي، والذي يضع من خلال كتابه محمد علي ودولته وجيشه أمام معيار علمي، لا يرى منه حاكماً أسطورةً ولا ديكتاتورًا، بقدر ما يضعه في الإطار التاريخي الذي جعل منه ظاهرة شديدة الأهمية في تاريخ مصر الحديث.

وفي كلمة «الناشر» عن الكتاب يقول أنه يقدم تاريخ مصر «من أسفل» عبر اهتمامه بالمحكومين أكثر من الحكام، وهو أسلوب كان نادرًا في الكتابة عن تاريخ مصر قبل ظهور طبعته العربية الأولى عام ٢٠٠٠. وقد نجح في أن يمسك بصوت ذلك المصري المحكوم دون التورط في تعميمات عاطفية.

ويقدم الكتاب إضافة علمية وفلسفية مهمة إلى دراسة مفهوم السلطة وتشكلها عبر التاريخ، باتخاذ دولة محمد علي نموذجًا، وتحليل وثائق وخطابات الجيش المصري في ذلك العصر، ويستكشف عبر الغوص فيها تشكل تلك السلطة وتطورها في واحدة من أكثر تحولاتها التاريخية تأثيرًا – ربما – إلى الآن.

ويهدف الكتاب إلى فتح عيون المؤرخين والقراء على وثائق شديدة الخصوصية، وحوّل كثيرًا من الموروثات لتصبح مصادر لصناعة التاريخ، فدخل أرشيفات اعتُبرت قبل هذا الكتاب في عداد المجهولة أو المنسية.

غاستون باشلار نحو نظرية في الأدب

بيروت – : صدر عن دار الفارابي في بيروت كتاب جديد للكاتب المغربي سعيد بوخليط، «غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب»، قدم خلاله الركائز الأساسية للمشروع النقدي للمفكر الفرنسي الكبير غاستون باشلار.

ويقول الناشر إن قيمة اختيار الباحث سعيد بوخليط، للنصوص التي ترجمها في عمله الحالي. تدخل في إطار مشروعه، وضع جمهور وكذلك أكاديميي اللغة العربية ضمن سياق مختلف المنظورات الباشلارية مع تركيز خاص على الجزء الشعري، بناء على تأملات مفكرين ينتمون لثقافات وجنسيات مختلفة: عرب، أوروبيون وأميركيون.

قام «سعيد بوخليط» باختيار مقالات ترصد مجموعة من المعطيات البيوغرافية والمفهومية حول غاستون باشلار، وبالتالي يمكّن القارئ من تمثّل الحقبة المهنية والشخصية لهذا الرجل الفذ.

باختصار، يمثل العمل الحالي لـ «سعيد بوخليط» محاولة تستحق التقدير لإعطاء جمهور اللغة العربية، نبذة عن حياة ومشروع غاستون باشلار. وتقريبنا من تأملات، يمكنها أن تثير مفكري اليوم.

والحال، فقد رسم الكاتب المغربي في كتابه الجديد «غاستون باشلار: نحو نظرية في الأدب» ملامح مشروع نظري طالما ظل الأدب النقدي العربي يفتقر إليه.

سعيد بوخليط كاتب وباحث من المغرب.

. حاصل على دكتوراه حول [الخطاب النقدي والأدبي عند غاستون باشلار.

. عضو اتحاد كتّاب المغرب وجمعية أصدقاء غاستون باشلار «ديجون Dijon/ فرنسا «

صدر له:

● غاستون باشلار: عقلانية حالمة. منشورات جريدة الآفاق المغربية، مراكش ٢٠٠٢.

● غاستون باشلار: نحو أفق للحلم. دار أبي رقراق للنشر الرباط، ٢٠٠٥، تقديم، الباحثة الأميركية تريزا كاستيلاو. لاولس.

● غاستون باشلار: بين ذكاء العلم وجمالية القصيدة، منشورات فكر، الرّباط، ٢٠٠٩.

● العقلانية النقدية عند كارل بوبر، «تقديم وترجمة». أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٩..

رواية التقدم واغتراب المستقبل

يوضح الناقد والباحث فيصل دراج انه حملت البدايات الروائية العربية، مع مطلع القرن العشرين المنصرم، هموم ومشاغل الناس في بلدانهم وأزمانهم، وعبّرت في أغلبها عن الوجدان الشعبي والمعيش المشخّص، وراحت تتعين «أرشيفاً» وتاريخاً لمختلف مراحل التاريخ العربي الحديث، وسجلاً لهزائم العرب المتعددة والممتدة، ولأحلام لم تتحقق.

ومن ينظر إلى التجارب الروائية في مختلف البلدان العربية، يجد أن الرواية العربية، اتسمت، ومنذ ولادتها، كجنس أدبي حديث، بحملها لخطاب ينشد الحداثة والنهضة والتقدم، ويبشر بزمن جديد، يكون المستقبل فيه مرجعاً للحاضر والماضي كذلك، وكان خطابها تبشيرياً من جهة المضمون، تحدث عن قضايا الحرية والتحرر والعدالة والتقدم وسواها.

ومنذ البدايات الأولى، وجدت «رواية الأفكار» متحققها مع رواية فرنسيس المراش «غابة الحق»، التي طرح فيها جملة من الأفكار الليبرالية المتداولة في زمنه، ومع رواية «المدن الثلاث» لفرح أنطون، التي مثّلت حكاية تربوية، هدفها نشر «أفكار التقدّم» بطرق جذابة، ثم مع محمد حسين هيكل في روايته «زينب» التي أحدثت نقلة فنية في الرواية في عام ١٩١٤.

ويرى دراج، الذي ما يزال يواصل الحفر الذي بدأه منذ أكثر من ثلاثين عاماً في حقل النقد الروائي الذي غادره كثير من النقاد، أن الرواية سردت، في طورها الأول، حكاية التقدم التي حلمت بعالم عربي، تحرّر من تخلّفه وأقبل على الحداثة، في صيغة «الصبي الواعد» الذي يهجر الماضي، ويرمي بنفسه بين أحضان المستقبل، منتظراً بشارة غامرة في نهاية الطريق.

ونجده في رواية «زينب» صبياً تتجاوز حكمته عمره، ولا يقل حكمة في «عودة الروح» لتوفيق الحكيم، وليس أقل حضوراً في رواية «الرغيف» لتوفيق يوسف عوّاد. واستمر حضور هذا الصبي في أعمال عبد الرحمن الشرقاوي وغسان كنفاني وعبد الكريم غلاّب. ويشير عمره الصغير إلى مهمة مستقبلية سينهض بها، فيتجسد في بطل اختاره القدر ليلبّي حاجاته ويرضيه، وفي الإنسان النوعي الذي سيحتل حيّز المستقبل، ويخلق زمناً كيفياً مختلفاً عن الحاضر.

ويطرح المؤلف أسئلة عديدة، تطاول دلالة الكتابة الروائية بالمعنى النظري، وماهية العلاقة بين الوعي الروائي الذي أنتجته الحداثة الأوروبية، والواقع العربي الذي جاء بالكتابة الروائية إليه مثقفون درسوا في أوروبا أو تعرفوا على ثقافتها، وتطاول أيضاً ماهية السياق التاريخي الذي أقضى «اللا متوقع الروائي» واختفى بمتوقع مرغوب.

ويلفت دراج إلى أنه طرحت كتابات الطهطاوي والشدياق والمراش والخوري قضايا جديدة، يجملها في عناوين: الآخر والفارق الحضاري والمحاكاة، والتعلم والخروج من المألوف المسيطر...إلخ، وتتابعت هذه المواضيع لاحقاً في كتابات جبران خليل جبران، قبل أن تضيف إليها الأفكار الاشتراكية مقولة «الإنسان المنتصر»، ويعطف عليها الفلسطينيون بمقولة «بداهة الأمل» الذي يحتاجه المنهزمون جميعاً. وعليه، يسبر ثنايا الشكل الحكائي لخطاب التنوير عند طه حسين وسلامة موسى وساطع الحصري وسواهم، معتبراً أن طه حسين انطلق من بطولة المنهج الديكارتي، واشتق منه بطولة «الدارس المنهجي»، الذي يوحد بين العلم والشرف ويرضى بسلطان العقل، في ما ارتاح سلامة موسى لمنطق الحكاية التي أخذ بها طه حسين، ثم بنى الحصري، بدوره، حكايته القومية، قاصداً بطلاً محدد الهوية، ومتوقفاً أمام أعداء له لن يعوقوا مسيرة البطل المنتصر.

فالبطل الذي تحرر من سباته يستند إلى معطى جاهز، لا يعفو ولا يغيب هو اللغة العربية، نظراً لأن جميع البلاد التي يتكلم سكانها اللغة العربية هي عربية، وكل من ينتسب إلى البلاد العربية ويتكلم باللغة العربية هو عربي، ولا مجال عنده للحديث عن «دولة إقليمية» تعطي مواطنيها حقوقا وواجبات متساوية لمواطنيها. ومن هذه المقولات اشتق الفيلسوف القومي بطله من اللغة، وأسبغ على اللغة قوة خارقة.

والحاصل هو أن الفكر التنويري العربي استولد الرواية العربية، وعوّق تطورها، حيث أعطى موضوعياً، ما سمح به مشروع فكري مستقبلي، ورأى في الرواية عنصرا من عناصره التحريضية والتبشيرية. وعليه حوّل الأدب إلى كتابة ثانية أذابت استقلالها الذاتي في مشروع منشود سيعطيها، لاحقا استقلالا ذاتيا.

ولم يستطيع السياق، لأسباب كثيرة، أن يميز بين الروائي والمصلح الاجتماعي، ولا أن يلمس معنى التقدم في التصور الروائي للعالم، فيحيل على النسبي والمجهول لا على المطلق والمعلوم. وتمحورت العناصر التي أسس بها الفكر التنويري الرواية العربية الوليدة حول حكاية الأفكار التهذيبية والنثر والأسلوب الذاتي، والخيال والكتابة النقدية، والانفتاح على الثقافة الكونية.

وقد استولدت رواية التقدم التفاؤل من المستقبل الذي يأتي به تاريخ يتقدم إلى الأمام، القدرة على محاكاة «الآخر» المتقدم، وقوة الثقافة القادرة على الهدم والبناء.

الكتاب: رواية التقدم واغتراب المستقبل
تأليف: د. فيصل دراج
الناشر: دار الآداب- بيروت- ٢٠١٠